ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير فخري كريم

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

العدد (6005) السنة الثالثة والعشرون - الاثنين (13) تشرين الأول 2025

www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

جسور بغداد

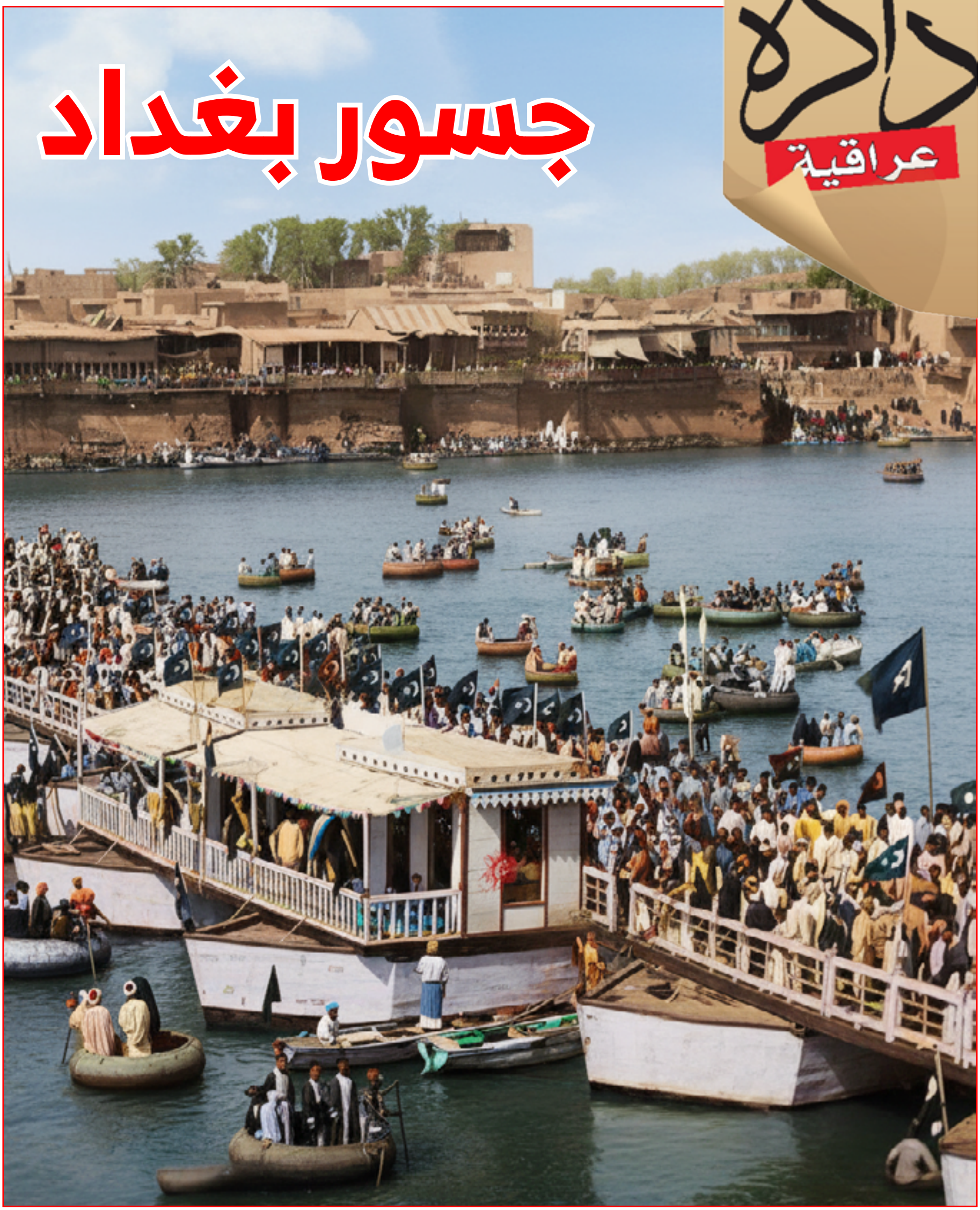

من ذكرياته

خالد القصاب يتحدث عن محاولة إغتيال قاسم 1959

إعداد : ذاكرة عراقية

في مساء ٧/ت١/١٩٥٩ حين كنت في عيادتي في منطقة البتاويين، سمعت لغطاً واضطرابا في الشارع وصراخا يردد ان قاسما قد قتل، طلبت من مساعدي في العيادة الاسراع في غلقها تحسبا لما سيحدث فيما بعد.. وكنت على وشك ان اغادر العيادة واذا بجرس الهاتف يرن، وكان المتحدث يتكلم بهياج واضطراب، وقال لي ان الزعيم مصاب، وهو الان في مستشفى السلام، اجلب معك قناني دم وتوجه حالا الى مستشفى السلام، لم اتمكن من معرفة من كان يتكلم معي، وهو بالتأكيد لم يكن طبيبا، ولم يكن وزير الصحة الدكتور محمد الشواف لأن طلبه كان غريبا، فكيف لي ان اجلب معي قناني الدم بهذه العجالة؟ وبقي الشخص مجهولا حتى عرفت من هو بعد مرور ما يقرب عن نصف قرن.

لم يكن أحد على علم بان قاسم كان انذاك في مستشفى السلام في السعدون، فعندما تعرض للهجوم بالرشاشات في شارع الرشيد اعتقد مهاجموه انه مات، وكان سائقه قد قتل فتطوع سائق سيارة اجرة لأخذه الى المستشفى وامره عبد الكريم بالذهاب الى مستشفى الرشيد العسكري، ثم امره في الطريق ان يعرج على مستشفى السلام من ملاحقة المهاجمين له اذا ما كانوا قد سمعوه يطلب من السائق التوجه الى مستشفى الرشيد العسكري.

كنت اول من وصل الى المستشفى واجتزت جمعاً كبيراً من الناس كانوا يتباكون ويصرخون، اسرعت الى قاعة العمليات في الطابق العلوي حيث وجدت قاسم تغطيه الدماء، وكان يتكلم بحماسة وشجاعة بين الجماهير، ماذا عملت؟ حررت البلاد من الاستعمار، وانسحبت من الاحلاف العسكرية، وانصفت العامل والفلاح.

وصل وزير الصحة بعدي، ووجه كلامه الى بعض الاطباء السوفييت في القاعة وامرهم بالخروج ثم وجه كلامه الي: انت المسؤول الان افحصه وقدم لي تقريرك عنه، اجبته ان هناك طلقا ناريا في الابط الايسر واخر في العضد الايسر، واخر اجتاز الكتف اليسرى ورابع في جدار الصدر، وحالته العامة مستقرة ولا خطورة فيها. ثم بدأت باجراء العملية لاستخراج الطلقة من الابط تحت المخدر الموضعي، من القواعد السليمة في زرق المخدر هو ان اقوم بالسحب قبل الزرق تفادياً لزرق محلول التخدير في وريد مما قد يؤدي الى موت فجائي، وفي تلك العملية لأول وآخر مرة في حياتي، ادى السحب الى خروج الدم بشكل غزير دلالة على نفاذ ابره الزرق في وريد الابط بحيث كان يودي بحياة مريضي عبد الكريم قاسم. فغيرت الابرة، ونقلت موقعها، وتفاديت غلطا كبيرا. كل هذا وحشود من المرافقين كانت تحدق بي، وتتابعني من الشرفة المحيطة بقاعة العمليات، ان الطب من ادق المهن، يتعامل مع الحياة والموت، وقد تكون السكين او الابرة بين الجراح اداة خير ورحمة، كما قد تكون أداة قاتلة اذا ما اسيء استخدامها ولم تستخدم بالشكل العلمي الصحيح والويل للطبيب اذا ما شذّ من هدفه المقدس الذي اقسم عليه، واتخذ من الطب غطاء لنوايا اخرى، فتلك جريمة لا تغتفر.

بعد الانتهاء من عمليتي للزعيم، ذهبت لاسعاف مرافقه الرئيس قاسم الجنابي الذي كان وجهه ملطخاً بالدم.

وكان يردد : "قلنا له لا تعدم الضباط، لكنه لم يسمعنا".

كان الجنابي رجلا عالي الخلق، فاضلا.

في تلك الليلة اذاع عبد الكريم قاسم خطابا قصيرا بثه من غرفته، ثم امر الوزير محمد الشواف تشكيل لجنة طبية خاصة برئاسته ، تضم في عضويتها انا والدكتور رشاد عبد الواحد، مدير الامور الطبية في وزارة الدفاع، واقترحت مع الوزير اضافة طبيب اختصاصي بالكسور، فضم الدكتور هادي السباك لعضوية اللجنة ايضا.

امضينا مع عبد الكريم قاسم اكثر من شهر في مستشفى السلام نزوره في جناحه الخاص مرتين كل يوم في الاقل.. ونصدر نشرة طبية بذلك، اتاحت هذه المرة في التعرف الى شخصية الزعيم عن قرب في مرحلة صعبة من تاريخ العراق.. ولم اكن اعرفه من قبل وجدته بغداديا في صفاته، متواضعا، حاد الذكاء، غير طامع بغنى ومحبا للنكتة. وهو لا يتقن اللعبة السياسية ولا يدرك خفاياها. لم يتمكن من خلق قاعدة حزبية قوية له تمكنه من الوقوف امام التيار اليساري او اليميني، فانجرف في متاهات ادت به الى انهيار حكمه، ان التمادي في سرد الاحداث السياسية سيبعدنا من اجوائنا الفنية، وعلي ان انهي هذه الفقرة بخطابات قصيرة، ربما كانت ذات فائدة، قبل ان يطويها النسيان.

في مساء اليوم التالي، وعندما كنا في زيارتنا الطبية، سمعت اصوات طلقطة من ضربات الجزمات العسكرية فوق الارض تتوالى في مدخل المستشفى، دلالة على التحيات العسكرية وقدوم شخص مهم، تطلعت من الشباك، وسألني الزعيم: ماذا ترى؟ اجبت انه الفريق نجيب الربيعي، رئيس مجلس السيادة. لابد انه جاء لزيارتكم، ولدى اقتراب وقع الاقدام من الجناح الخاص اعتذرنا عن البقاء وطلبنا الاذن بالانسحاب بفسح المجال لهذه الزيارة المفاجئة، لكن الزعيم طلب منا البقاء.. وعندما اطل الفريق الربيعي من الباب قال له عبد الكريم معتذرا: عفواً سيدي لدي فحص طبي الان وفي رأي، كان تصرفه ذلك دليلا على انه كان يشك في اشتراك رئيس مجلس السيادة في المؤامرة للقضاء عليه.

بقي السؤال، من كان صاحب الصوت المضطرب الذي دعاني للذهاب الى مستشفى السلام لمعالجة عبد الكريم قاسم؟ لم اجد الجواب الا بعد مرور اربعين عاما.

فقد جاء الى عيادتي عام ١٩٩٩ رجل تجاوز عمره الثمانين، كان هزيل البنية، خفيف الدم، يضع على رأسه قبعة، قال انه عمل سكرتيرا لمجلس الوزراء وعاصر الكثير من الرؤساء، وكتب عن ذكرياته وانطباعاته منهم من نوري السعيد حتى قاسم ومن تلاه ورفضت وزارة الاعلام نشر مؤلفه. كما ادعى لما فيه من صدق في تقويمه لشخصياتهم وتصرفاتهم. واستمر في ذكرياته ليحدثني عن يوم ٧ تشرين الثاني ١٩٥٩. قال انه كان واقفاً مع المصور ارشاك في محله في شارع الرشيد. وساعد على حمل عبد الكريم الجريح لكي ينقله سائق السيارة الى مستشفى السلام يصاحبه ممدوح ارزوقي (هو ممدوح عبد الرزاق المهداوي، ابن عم فاضل عباس المهداوي.. رفعة) وقال انهم لدى وصولهم المستشفى شاهدو اللواء عبد الجبار جواد. زوج اخت عبد الكريم قاسم واقفا وبجانبه عبد المجيد جليل مدير الاستخبارات (الامن العامة) يتكلم بالتلفون بصوت عال، طالبا مني القدوم الى المستشفى، اعدم عبد المجيد جليل واختفت قصة استدعائي وبقيت انتظر اربعين عاما.

ذكريات اخرى عن عبد الكريم قاسم والفن:

كان عبد الكريم قاسم لم يزل راقدا في المستشفى عندما تسلم من جواد، وهو في فلورنسا التخطيطات الاولى لنصب الحرية، ورأيته يفتح الورقة الطويلة امامنا، حدق فيها حائراً ووجهه يخلو من اي تعبير ينم عن فهم ما يراه، إلا انه قال: الثورة تثق بالفنان العراقي فقط ليصمم النصب لها.

في وقت آخر اخذ يشرح لنا شعار الجمهورية الذي صممه جواد سليم ايضا، كان قلب الشعار مستلاً من تكوين مسلة (نرام سين)، يحتوي على شمس صفراء في المركز تحيط بها سيوف اسلامية وداخلها نجمة مثمنة. قال الزعيم شارحا الشعار ولافتا انظارنا الى لون النجمة المثمنة: "هذا ليس لون احمر، بل هو بني محروق، وهذا يعني ان لنا لوننا الخاص من الاشتراكية يختلف تماما عن اشتراكية الاتحاد السوفيتي».

تلقيت مكالمة هاتفية من وزارة الدفاع يوما يخبرني فيها ان الزعيم بحاجة الى لجنة لطبية كان ذلك في الخامسة مساء وتحسبا لما سيتطلبه هذا الامر كما توقعنا. من وقت طويل ولأطالته في الحديث، وجدت من الافضل حذف مواعيدي في العيادة وغلقها في ذلك اليوم.. وصلت الوزارة في الساعة الخامسة والنصف مساء واجتمعت مع زملائي اعضاء اللجنة في غرفة المرافقين جاسم العزاوي وقاسم الجنابي وحافظ، نشاهد التلفزيون في انتظار زيارة مريضنا.

ادخلنا في الساعة الثامنة الى صالة كبيرة تتوسطها منضدة مستطيلة حيث يجتمع مجلس الوزراء، وفي ركن من الغرفة عرض قميص الزعيم الملطخ بالدم. كان عبد الكريم لطيفا في لقائه وبسيطا في تصرفاته وبما عرف عن طبائعه البغدادية بتقديم الشاي الثقيل المركز المشبع بالسكر و(الشلغم) اللفت المسلوق الذي يأتي به من منطقة الميدان.. وبعد ان قمنا بالفحص الطبي، انطلق الزعيم بالحديث عن منجزات الثورة عن قائمةمقام الكويت وغير ذلك. كنت اجلس بجانبه، ورأيت ان الوقت مناسبا لكسر هذا الصمت والتوتر، فافتح موضوعاً جديدا.. بدأت اتكلم عن جواد سليم وما نكن له من احترام كبير. سمعني ولكنه لم يعلق باي شيء، وبقي صامتا، شعرت عندئذ انه كان منزعجا من جواد، ربما بسبب ما شاع انذاك عن انه طلب من جواد ان ينحت وجهه ويضعه في نصب الحرية، لكن جواد رفض ذلك.

رجعنا الى وزارة الدفاع والبدء تشير الى الثانية صباحا، تسع ساعات منذ بداية جولتنا، وسألت نفسي ماذا حدث لاجتماع الوزارة الذي كان مقررا اذ ينعقد في التاسعة مساءً؟

خالد القصاب، ذكريات فنية (لندن، ٢٠٠٧)

إنتفاضة النجف 1918 ودورها في ثورة العشرين

علياء موسى البغدادي

تركت ثورة العشرين اثرا كبيرا في الحياة السياسية الوطنية والفكرية في تاريخ العراق .لم تكن ثورة طارئة بل كان لها ممهدات سبقت الثورة كان لها اثر واضح في نشوب الثورة . ومن اهمها انتفاضة النجف عام ١٩١٨م حيث كانت النجف مابين ١٩١٥ــ١٩١٧ تحكم نفسها بنفسها الى ان تعيّن في اب ١٩١٧ حميد خان، بوظيفة ممثل الحاكم السياسي في النجف. في تلك الفترة ازدهرت التجارة في النجف لأرتباطها مع تجار البصرة وذلك لزيادة الحاصلات الزراعية القادمة لها من مناطق اخرى وكانت تطلبها الاطراف المتحاربة الانكليزية والتركية ونتيجة لهذا الفن وبدافع من العقلية البدوية فأن أهل النجف قد اشتروا الاسلحة للحفاظ على ثرائهم وحياتهم وحدثت حادثة حيث قام (نجم البقال) في النجف بمفاجأة السلطة وذلك بقتل الكابتن (مارشال) حاكم النجف السياسي في حينها. وقد لعبت النجف دور بارز في الجهاد والثورة . بالرغم من السياسة الطائفية التي كانت تطبقها الدولة العثمانية بحق شيعة العراق، إلاّ انهم لبوا بقيادة علمائهم، نداء الجهاد الذي اصدره شيخ الاسلام في اليوم السابع من تشرين الثاني عام ١٩١٤م، بوصفه الرئيس الروحي الرسمي وصاحب أرفع منصب ديني في الدولة العثمانية، هذا يبيّن حرصهم على الديار الاسلامية وتناسي الخلافات أمام الغزو الاستعماري الكافر. فحارب المجاهدون الشيعة بقيادة علمائهم الأفاضل، جنبا إلى جنب، مع القوات العثمانية ضد القوات البريطانية التي نزلت في الفاو جنوب البصرة، وكان عدد المجاهدين حسب التقارير التركية، يقدر بـ ١٨٠٠٠ ألف مقاتل، أما في منطقة القرنة فقدر عددهم بأربعين ألف. توزع المجاهدون على ثلاث جبهات:

القلب: مركز القرنة، يقوده العلماء: مهدي الحيدري، وشيخ الشريعة، ومصطفى الكاشاني، عبد الرزاق الحلو.

الجناح الأيمن: مركزه الشعيبة، يقوده العلماء: محمد سعيد الحبوبي، وباقر حيدر، ومحسن الحكيم.

الجناح الأيسر: مركزه الحويزة، يقوده العلماء: مهدي الخالصي وولده محمد الخالصي، وجعفر الشيخ راضي.

لكن العثمانيين مُنوا بالهزيمة في معركة الشعيبة، وكان السبب الرئيسي لذلك انتحار سليمان عسكري بيك، فراحوا يتهمون العرب بأنهم كانوا سبب الهزيمة. وكان من جراء الهزيمة أن ثارت النفوس وانتشرت روح التمرد في جميع أنحاء الفرات الأوسط والأسفل، فشعرت القبائل الضاربة في هذه المنطقة، بأنه قد آن الاوان للقضاء على كل حكم أجنبي واحتلال غريب سواء كان ذلك من قبل الأتراك أو الأنكليز. شحذ العائدون من حركة الجهاد الهمم وضاعفوا من حماسهم للعمل ضد الإنكليز، خاصة بعد سقوط بغداد في ١١ آذار ١٩١٧م والذي وصفه السيد مهدي الحيدري بانه ((سقوط الإسلام من السماء إلى الأرض)).فاتفق القادة الدينيون وزعماء العشائر على تأسيس حزب لمواجهة الاحتلال البريطاني من خلال مشروع اسلامي يسعى لاقامة حكومة اسلامية، ودعم الجهود الرامية إلى الوحدة العربية المستقلة تماما عن النفوذ الأجنبي. وقد وضع هذا المشروع علماء مجتهدون منهم: عبد الكريم الجزائري، محمد جواد الجزائري، محمد علي بحر العلوم ومحمد علي الدمشقي الذين أسسوا لتنفيذه تنظيما حزبياً وهو حزب النهضة الإسلامي، وأقاموا له هيكلاً ونظاماً داخليا، وكانت الأحزاب في ذلك الوقت تسمى على الأغلب جمعيات، فغلب عليها هذه التسمية وأصبح معروفاً باسم ((جمعية النهضة الإسلامية)) وكانت هيئتها الادارية تتكون من:

محمد علي بحر العلوم رئيساً

محمد جواد الجزائري عضواً

محمد علي الدمشقي عضواً

عباس الخليلي سكرتيراً عاماً

كما انضم إلى الجمعية معظم رؤساء النجف وزعمائها المحليين، وضمت أيضاً كسبة مثل المدعو ((ابن العيدة)) ((والحاج نجم البقال)) اضافة إلى انضمام بعض رؤساء العشائر إليها كمرزوق العواد ورايح العطية ووادي العلي وسلمان الفاضل. وكان للجمعية جناحان سياسي وعلى رأسه العلماء والمثقفون والشعراء، وعسكري يعتمد الجهاد. قادت جمعية النهضة الإسلامية ثورة النجف في ١٩ آذار ١٩١٨م والتي صادفت الذكرى الأولى لأحتلال بغداد من قبل الانكليز، فقتل الحاكم السياسي البريطاني: الكابتن مارشال من قبل الحاج نجم البقال وهو عضو في الجناح العسكري اضافة إلى جرح أحد مساعدي الحاكم. وتحول هذا الحادث إلى انتفاضة شبه شاملة فرضتها ظروف المنتفضين على مدينة النجف، فأدركت السلطات البريطانية خطورة الموقف، فاستعاضت عن اقتحام المدينة واحتلالها عسكرياً بفرض حصار على المدينة من كل الجهات. استمرت الثورة ٤٥ يوماً اشترك فيها الألوف من أهالي النجف، وعن الجانب البريطاني اشترك في القتال وفي الحصار أكثر من ثمانية آلاف جندي.انتهت الثورة باعدام قادة الجناح العسكري ونجاة سكرتير الجمعية الذي حكم بالاعدام واستطاع الهرب من المعتقل، ونفي تسعون عضوا من أعضائها، منهم تسعة مدى الحياة في الهند حيث قضوا سبع سنوات في المنفى قبل أن يُعفى عنهم. أما البريطانيون فقد قدرت خسائرهم بسبعمائة قتيل، وكان من المتوقع اشتراك عشائر الفرات الأوسط في الثورة وتصبح شاملة إلاّ أن تسرع الجناح العسكري في اعلان الثورة حال دون ذلك.

ويمكن اعتبار ثورة النجف كأول ثورة مدينة عربية ضد الاحتلال البريطاني وشنق من أبناء المدينة أحد عشر شخصاً وهم بهذا أول عراقيين يشنقون، وأول مجموعة عراقية تجاوز عددها المائة شخص تساق إلى المنفى وأول سجناء سياسيين يستقبلهم سجن بغداد.

فشلت انتفاضة آذار ١٩١٨م في النجف لعدم كفاية الدعم لها، ولأن البريطانيين اتخذوا من جهة اخرى اجراءات قوية بما في ذلك الحصار الذي اعقبته حملة من الابعادات والاعدامات العامة. وبرغم من كل الاحداث التي مرت بعد الانتفاضة من استفتاء بريطاني للمدن العراقية وبعدها الهيجان الكبير للفرات الاوسط ضد المحتلين الغزاة البريطانيين . اريد ان اشير الى اهمية مدينة النجف الاشرف في التمهيد والدعوة لثورة العشرين الخالدة .حيث يقول الدكتور علي الوردي في كتابة لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث،الجزء الخامس/ ص: ١١٦ (اتفقت الآراء على ان أول من نادى بالثورة المسلحة في الفرات الأوسط هو السيد علوان الياسري، وان أول من أيده في ذلك هو السيد محمد رضا الصافي). وهذا يعني ان النجف الأشرف إضطلعت بدور بارز سياسياً في بداية هذا القرن، بقيادة علمائها ومراجعها الشيعية العليا، سواءً في مقاومة السياسة الطائفية التي كانت تطبقها الدولة العثمانية بحق سكان ولايات البصرة وبغداد والموصل من المذهب الشيعي، أو في الدفاع عن بيضة الاسلام ضد القوات البريطانية الغازية التي نزلت في الفاو في عام ١٩١٤م لاحتلال الولايات الثلاثة، ملبية في قتالها للبريطانيين، نداء الجهاد الذي اعلنه شيخ الاسلام في استانبول في اليوم السابع من تشرين الثاني عام ١٩١٤م، ثم مقاومة الاحتلال البريطاني ونشاطها الفعّال في التهيئة والتوعية لثورة العشرين التي عرفت بالثورة العراقية الكبرى ومشاركتها في أحداثها، تلك الثورة التي رغم فشلها في طرد البريطانيين من العراق، إلا انها جعلتهم يغيرون خططهم حول طريقة حكمهم للعراق وتأسيسهم لدولة العراق الحديثة بعد جلبهم فيصل الأول ليتبوأ عرشها ويندبونه على مقدّراتها.

عن (كتابات في الميزان)

جسور بغداد .. تاريخ وذكريات

عدنان احمد مظلوم

هناك اسطورة تقول انه عندما يكون عدد الجسور في بغداد ٧ فان بغداد (ستغرق !!) ولكنها لم تغرق !! وبعد ذلك قيل اذا صارت ١٣ جسرا ستغرق !! وايضا ثبت بطلانها حيث ان في بغداد على نهر دجلة حاليا ١٣ جسرا وهي سليمة متعافية والحمد لله ، وعلى كل حال فان هذه الجسور بنيت بدماء العراقيين و اموالهم وعرقهم !! نعود الى حكاية الجسور (من البداية) فنقول:

يعتبر موضوع الري وعبور الانهار اهم ما شغل العراقيين منذ بداية الحضارة فيه قبل اكثر من ٦٠٠٠ سنة ، ويقال ان البابليين استطاعوا تجسير نهر الفرات في حين استطاع العباسيون تجسير نهر دجلة ولكن كيف كان الجسر ؟؟ هذا ما يصعب التكهن به !! ... الثابت لدينا ان الوالي مدحت باشا بنى جسرا" من القوارب لعبور البشر والدواب ، اما اول جسر لعبور الكاري والعربات فقد افتتح عام ١٩٠٢ في بغداد في زمن الوالي ناعم باشا وكان جسرا "واهيبا" يرتكز على دعامات من القوارب الخشبية فينجرف في موسم الفيضان !!!! وافضل جسر عائم نفذ في بغداد أقامه الجيش البريطاني عام ١٩١٨ من الحديد على القوارب سمي بجسر مود !! يربط بين الصالحية في الكرخ ورأس القرية في الرصافة (موقع جسر الاحرار الحالي) .... وبقيت بغداد تعتمد على جسور عائمة معرضة الى الانجراف والغرق كلما ارتفعت مناسيب المياه وحدث فيضان او عاصفة الى نهاية عام ١٩٣٨ .

شهد يوم ١٣/١/١٩٣٩ اكمال اول جسر ثابت على نهر دجلة حسب المواصفات العالمية المعروفة في وقتها للجسور وقد افتتح الجسر الذي سمي جسر المامون (جسر الشهداء الحالي) يوم ١٥ تموز ١٩٣٩ من قبل الامير عبد الاله وجاء اهالي بغداد للتبرك بهذا الانجاز حتى اصبح الناس على الجسر كتلة بشرية لا مثيل لها، ثم افتتح بعد حوالي عام جسر فيصل الاول (الاحرار حاليا") ونقل جسر مود العائم الى الكرادة..... في عام ١٩٤٠ كان في بغداد الجسور التالية :-

-جسر ثابت عدد ٢/ (المأمون وفيصل الاول) .

– جسر عائم عدد ٣/ (الاعظمية ، جسر مقابل شارع المتنبي ، جسر الكرادة).

بعد اكثر من ١٠ سنوات اي في تشرين الاول ١٩٥١ تم افتتاح جسر الصرافية وهو جسرمشترك للسيارات والقطارات ، وفي اذار عام ١٩٥٧ افتتح الملك فيصل الثاني جسري الملكة عالية (الجمهورية حاليا") والائمة الذي يربط الاعظمية بالكاظمية ، (ثم نقل جسر الاعظمية العائم بعد افتتاح الجسر الثابت الى مدينة النعمانية).

شهد عام ١٩٦٤ افتتاح الجسر السادس (الجسر المعلق) والذي سمي (جسر ١٤ تموز) قام بتصميمه المهندس شتايننص ونفذته شركتي كيرون وبلفنكر الالمانية بالاشتراك مع شركة وكتر بيرو النمساوية وهو من مشاريع مجلس الاعمار ، وهو ثاني جسر معلق في العراق بعد جسر السماوة المعلق (الذي فتح عام ١٩٥٨ وتم تدميره عام ١٩٩١ ونفذ بديل مختلف) !! .

توقف انشاء الجسور ١٣ سنة (من عام ١٩٦٤ الى عام ١٩٧٧) بعد ان بلغ عددها ٦ (ومن هنا جاءت اسطورة ٧ جسور !!) بسبب طول مدة التوقف عن تنفيذ جسور جديدة !!

في عام ١٩٧٧ افتتح الجسر السابع وهو جسر باب المعظم (سمي جسر ١٧ تموز) نفذته الشركة العامة للمقاولا ت الانشائية بالاشتراك مع شركة يابانية ، ثم شهد عام ١٩٧٩ افتتاح الجسر الثامن وهو جسر شمالي بغداد المسمى حاليا" (جسر المثنى) .

في عام ١٩٨٢ افتتحت (٣ جسور) وهي الجسر التاسع الجادرية (سمي جسر ٣٠ تموز) و الجسر العاشر (السنك (سمي جسر الرشيد) و الجسر الحادي عشر وهو جسر الدورة (سمي جسر صدام الكبير) مع مقترباته الطويلة في منطقة الدورة !! .

في نهاية عام ١٩٨٣ تم افتتاح الجسر الثاني عشر وهو (سمي جسر ١٤ رمضان) في منطقة الاعظمية وقد نفذ وفق احدث تكنلوجيا تنفيذ الجسور في العالم من نوع (Cable styed Bridge) ولأول مرة في العراق !!

وأخيرا تم في عام ١٩٩٥ افتتاح الجسر الثالث عشر (رقم ١٣) وهو المسمى (جسر القائد ذي الطابقين) وحاليا جسر الحسنين وهو الاول والوحيد في بغداد والذي صمم ونفذ بأيدي ابناء العراق من منتسبي هيئة التصنيع العسكري والجهات الساندة !!! ولاشك انه أضخم جسور العراق من حيث الاستيعاب لأعداد المركبات وحجوم المواد الداخلة في انشائه.

ان قياسات العالم في ضخامة الجسور تستند الى طول الفضاء حيث أصبح الجسر الاول في العالم هو جسر اكاشي في اليابان والذي يبلغ طول فضائه الوسطي ١٩٩١متر، وحسب القياسات آنفا" فان جسر الاعظمية (١٤ رمضان) بفضاء ١٨٢ م هو الجسر الاول (الأطول) في العراق يليه الجسر المعلق (١٤ تموز) بفضائه الوسطي ١٦٨ م.

اذا عدنا الى كلف انشاء الجسور للاطلاع على تطور الكلف فاننا هنا نذكر كلفة انشاء كل جسر في بغداد وحسب التسلسل التاريخي :-

جسر الشهداء كلفته ٢٥٠ الف دينار فقط.

كلفة تنفيذ جسر الاحرار = ٣٠٠ الف دينار .

جسر الصرافيه كلفته٣ ملايين دينار مع انشاء المحطة العالية للقطارات ضمن الكلفة .

جسر الجمهورية كلفته ١٥٧٠ الف دينار (كلفة اعادة اعمار الاجزاء المتضررة عام ١٩٩١ بلغت حوالي ١٠ مليون دينار) .

جسر الائمة كلفته ١٣٠٠ الف دينار .

جسر ١٤ تموز (المعلق) كلفته٢٦٠١ الف دينار .

جسر باب المعظم ١٧ تموز كلفته حوالي ٦ مليون دينار .

جسر شمالي بغداد (المثنى) كلفته ١٢ مليون دينار .

جسر السنك (الرشيد) كلفته ٢٠ مليون دينار .

جسر الجادرية كلفته ٣٠ مليون دينار.

جسر الدورة كلفته ٤٥ مليون دينار.

جسر الاعظمية (١٤ رمضان) كلفته ٥٦ مليون دينار.. اي ان كلفة تنفيذ ١٢ جسرا في بغداد قد كلف حوالي ١٧٨ مليون دينار خلال فترة ٤٣ سنة .

.. الجدير ذكره هنا ان ٣ جسور من جسور عاصمتنا الحبيبة تعرضت بشكل مباشر الى ضربات خلال العدوان الثلاثين دولة عام ١٩٩١ وهي جسور الشهداء ، الجمهورية و الجسر المعلق الذي كان اشدها تدميرا واما اضرار جسر الشهداء فكانت طفيفة كما تعرض جسرا السنك والاعظمية الى محاولة لضربهما ولكن الصواريخ أخطأت الهدف والحمد لله .

لقد تم اعمار جسر الشهداء من قبل منشأة الفاو العامة وجسر الجمهورية من قبل شركة حمورابي (احدى تشكيلات وزارة الاعمار والإسكان والبلديات العامة) والجسر المعلق من قبل هيئة التصنيع العسكري كما تم تحوير جسر الصرافية وإلغاء استخدامه للقطارات بسبب الغاء خط سكة بغداد كركوك (قرار خاطئ جدا !!) فاصبح الجسر بممرين للسيارات فقط...

رحلة الفرنسي تافرنييه وملاحظاته عن العراق العثماني

محمد شعبان أيوب

في عام ١٦٠٥م، وُلد «جان بابتيست تافرنييه»، الذي تعود أصوله إلى الفلمنكيين في بلجيكا اليوم. وقد اضطر والده وعمُه إلى الهجرة من منطقته تلك في نهاية القرن السادس عشر نتيجة الاضطهاد الديني الذي تعرضوا له في ذروة الصراع الكاثوليكي البروتستانتي، واستقر بهم المقام في فرنسا، ونظرا لإلمام والده بالجغرافيا والرسم الخرائطي، ومكانته العالية في هذين الميدانين المهمين في ذلك الوقت، استطاع أن يتحصل على عوائد مالية جيدة جعلتهم يعيشون في وضع اجتماعي مرموق بين الفرنسيين.

ولهذا السبب ما إن بلغ جان الخامسة عشرة من عمره حتى قرر السفر واستكشاف عوالم وممالك الجغرافيا الأوروبية الغربية، وهو يعترف بعشقه الفطري للسفر والرحلات قائلا: "إني جئتُ إلى هذا العالم وفيّ رغبة في الأسفار، فالمحاورات اليومية التي كانت تدور بين طائفة من العلماء ووالدي في الموضوعات الجغرافية التي كان له فيها المنزلة العليا، كنتُ أصغي إليها بكليتي بالرغم من حداثة سنّي، فأشعلت في الشوق لمشاهدة بعض هاتيك الأقطار التي كانت تتجسّد أمامي في خرائط لم يكن يهون عليّ رفع نظري عنها».

طوال سبع سنوات منذ الخامسة عشرة وحتى الثانية والعشرين، "كنتُ زرتُ أجمل بقاع أوروبا، فقد شاهدتُ فرنسا وإنجلترا والبلاد المنخفضة (هولندا) وألمانيا وسويسرا وبولندا والمجر وإيطاليا، وصرتُ أتكلم بأكثر اللغات انتشارا وأهمية"، وحين خط رحاله في أمستردام عاصمة هولندا، ورأى أساطيلها وكثرة الواردين إليها من المسافرين والتجار، كان ميله إلى الأسفار "يزداد نموا وقوة لما كان يحتشدُ في تلك الأرجاء من الغرباء الذين لقيتهم"، كما وصف في مقدمة كتابه "الرحلات الست".

في أحد أسفاره الأوروبية تلك، تعرّف "تافرنييه" على راهبَين فرنسيّين اقترحا عليه مرافقتهما في السفر إلى إسطنبول، ومنها إلى فلسطين لأداء مهامهما الدينية فيها، وقد كلماه عن إسطنبول ومكانتها العالية في ظل الدولة العثمانية وقتذاك، ونحن نعرف أن العلاقات العثمانية الفرنسية في تلك المرحلة، لا سيما منذ عصر السلطان سُليمان القانوني، والامتيازات التجارية والسياسية التي منحها للفرنسيين كانت عاملا مساعدا على التقارب الفرنسي العثماني. وقد لقي الاقتراح هوى في نفس "تافرنييه" "المُغرَم بالسفر والمغامرات، ومن ثم توجّهوا جميعا إلى إسطنبول، وقضوا الشتاء فيها، ثم قرر "تافرنييه" أن يبقى فيها، ولا يتوجه مع الراهبَين اللذين تابعا رحلتهما إلى فلسطين، ثم مكث أحد عشر شهرا حتى التحق بقافلة متجهة شرقا صوب "توقاد" و"أرضروم" و"أريفان"، ثم دخل إلى بلاد فارس التي حكمها الصفويون، أعداء العثمانيين الألداء والمتنافسون الذين اضطروا إلى عقد اتفاقية سلام وترسيم الحدود المعروفة باتفاقية "قصر شيرين" فيما بعد. وعلى أي حال، استطاع أن يبلغ في رحلته تلك حتى مدينة أصفهان.

قفل "تافرنييه" راجعا من خلال طريق بغداد ثم حلب ثم "العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرنييه"، وهي دراسة مهمة وقيمة.

لقد أمدّنا "تافرنييه" بمادة مهمة عن طبيعة الحياة العامة في تلك المنطقة التي خضعت للدولة العثمانية، والحق أن الرحلة إلى الشرق بين الصفويين الذين احتلوا العراق لفترات عديدة آنذاك وبين العثمانيين الذين استردوها منهم، لا سيما في عصر السلطان الأشهر سليمان القانوني. بيد أن الملاحَظ في كل ما كتبه "تافرنييه" من ورائهم قد استهوته.

عوّد على بدء، كان "تافرنييه" تاجرا ورحالة مغامرا، دامت رحلاته الست المتفاوتة زمنا طويلا يقارب نصف قرن من حياته، حتى إنه توفي أثناء رحلته الأخيرة إلى الشرق قرب موسكو عام ١٦٨٩ عن عمر ناهز الرابعة والثمانين. وفي رحلته الخامسة التي بدأت من عام ١٦٥٧م وحتى عام ١٦٦٢م، زار العراق أثناء انتقاله من حلب مرورا بمحاذاة نهر الفرات من البادية الشامية شمالا، وحتى البصرة وشط العرب على الخليج العربي جنوبا، ومنه انطلق إلى إيران لاستكشاف مدنها و"شيراز" و"أصفهان" وغيرهما. وقد اهتم المُرخان والمترجمان العراقيان "بشير فرنسيس" و"كوركيس عوّاد" بترجمة ما يتعلق بالعراق في رحلاته الست التي هدف "تافرنييه" منها الذهاب إلى فارس وزيارة بلاط الدولة الصفوية، وذلك في كتاب جعلا عنوانه "العراق في القرن السابع عشر كما رآه الرحالة الفرنسي تافرنييه"، وهي دراسة مهمة وقيمة.

أن سيطرة العشائر المحلية من أمراء وشيوخ القبائل العربية لم تتأثر بالسيطرة العثمانية على بلادهم، فقد ظل نفوذهم كبيرا، بل وبقي تحكمهم في القوافل التي أطلق عليها "كرّوان"، وكان قائد هذه القافلة يُسمى "كروان باشي"، أي رأس وقائد القافلة كما أسماه "تافرنييه".

أخبرنا "تافرنييه" أن كثيرا من المحظورات المفروضة على الفرنجة العابرين بأراضي الدولة العثمانية قد فعلها هو في رحلته، وعلى رأسها امتطاء الخيول، إلا في إسطنبول وإزمير وحلب فقط، أما فيما عداها فلم يُسمَح له إلا بركوب الحمير، واستثني من ذلك القناصل وأصحاب البعثات الدبلوماسية. والأمر الآخر إقصاء الفرنجة عن القوافل التي وُجدت فيها النساء بأعداد كبيرة في كل الأراضي العثمانية، لكنه استطاع خرق المحظور الأول بركوب حصانه أثناء عبوره الصحراء السورية والعراقية أحيانا مقابل رشوة.

لقد اضطرت القافلة إلى الابتعاد عن نهر الفرات وولوج البادية الشامية والعراقية الصحراوية جنوبا، ولهذا السبب كان للارتحال من خلال هذه الطريق أوقات معلومة سنويا بغية وجود الماء في الآبار، وإلا هلكت القوافل عطشا، "وغاية ما يُطاق حمله في حلب على ظهور الجمال من حطب وفحم بنفد في نحو ثمانية أو عشرة أيام، ولهذا لا ترى بين الستمائة بعير التي تخترق البادية أكثر من خمسين محملة بالبضائع المؤلفة من الأقمشة الخشنة وقليل من المواد الحديدية، وبالأخص نسيج قالقوط (الهندي) الأسود والأزرق الذي يستعمله العرب، وأما سائر الجمال فتحمل من الطعام ما يكفي هذا الحشد من المسافرين طوال أيام سفرهم العديدة في مثل هذه البلاقع المترامية الأطراف".

ومع أخذ الاحتياطات الغذائية اللازمة، كان تحدي وجود الماء العذب في هذه الصحاري أمرا شديد الصعوبة في بعض الأحيان، فقد مروا بآبار مياهها شديدة المرارة، حتى إن الجمال قد عافتها ومجّتها، «فإذا أضفنا إلى ذلك الأيام الثلاثة السابقة، كان مجموع ما مر على الجمال من الأيام التي لم تذق خلالها الماء تسعة». وحين اقتربت الجمال في نهاية هذه الأيام من عدة برَك تحوي ماء عذبا، و«لما كانت الجمال تتنسم رائحة الماء من مسافة نصف فرسخ أخذت تسارع في سيرها إليها، وما إن انتهت إلى البرك حتى تزاحمت عليها وتدافعت، فتكدّر الماء من جراء ذلك وتلوث، ولهذا قر رأي الكروان باشي على المكوث في هذا الموطن يومين أو ثلاثة أيام ريثما يصفو الماء. ولهذا السبب كان رأي قائد القافلة أنه إذا تكرر هذا الأمر ثانية وإذا لم يجدوا الماء خلال ثلاثة أيام، فإنه سيضطر إلى الاتجاه شمالا نحو نهر الفرات والسير بجواره رغم بعد المسافة وطول الرحلة.

على أن تحديا آخر واجه القوافل في البادية الشامية والعراقية، وتمثل في نفوذ مشايخ وأمراء العرب على هذه المناطق، وضرورة دفع الإتاوات للسماح لها بالعبور وإلا استولوا عليها. فبعد مرور ثمانية أيام على دخول هذه الصحراء، كما وصف "تافرنييه"، "حللنا في بقعة ذات ثلاث آبار وثلاثة أو أربعة بيوت، فمكثنا هناك يومين كاملين للتمتع بهذا المنهل العذب، وما كدنا نأخذ طريقنا ثانية حتى جاءنا ثلاثون فارسا مسلحا قادمين من لدن أحد الأمراء ليبلغوا الكروان باشي (قائد القافلة) بوجوب إيقاف قافلته، فلبثنا عند ذلك أياما ثلاثة منتظرين قدوم هذا الأمير بفارغ الصبر، فلما حل بيننا أهدى إليه الكروان باشي قطعة حريرية ونصف قطعة من قماش قرمزي، وقدرين كبيرتين من النحاس، ولكن مع أن هذه القدور مما لا يمكن أن يرفضها أمير عربي لخلو مطبخه من مثيلها، لم تبدُ على محيّاه علائم الرضا بهذه الهدية، بل طلب منا ما يزيد على أربعمائة كراون"، وهي الليرة الفرنسية المتداولة يومذاك، ويبدو أن المبلغ كان كبيرا بمقاييس ذلك الوقت.

لئن وصف "تافرنييه" عددا من أمراء العرب الذين فرضوا الإتاوات بصرامة على هذه القوافل ولم يسمحوا قط بعبور أراضيهم إلا بعد الدفع لشيخ القبيلة، فإنه وصف كرم العرب، ورأى أن أمراء آخرين تعاملوا مع الغرباء بعدل ومروءة بل وكرم زائد. وقد أهدى إليه أميران عربيان شابان جنوب النجف الهدايا نظير خدمة طبية سمح بها "تافرنييه" لطبيبه الذي اعتنى بأسنان هذين الأميرين، وأيضا نظير أخذهما لوحات ورسومات أعجبت الأمير الأصغر سنا، "أفهماني كيف يدفعان عما أخذا، وخاصة السيد الأصغر الذي كانت تبدو عليه أمارات الجود والكرم... ولما تأهبنا للرحيل أعطاني السلطان الشاب اثني عشر دوكاة (دينار ذهبي ذو قيمة عالية) قيمة الصور، وبعث إلى الكروان باشي وإلي بقوصرتين من التمر، وكان أجود ما وقع إلينا منذ أن فارقنا حلب".

في رحلاته التالية إلى إيران والهند، مرّ «تافرنييه» بالعراق من خلال طرق أخرى غير الطريق الوعرة التي سلكها في الصحراء، فقد سافر من حلب شمالا إلى الموصل ومنها إلى أصفهان، وفي مرة أخرى من حلب إلى الموصل، ومنها متخذا الطريق النهري في دجلة حتى جنوب العراق، وقد وصف الموصل والبصرة وبابل وغيرها من المدن العراقية في منتصف القرن السابع عشر، وهو وصف سنعود إليه في مرة قادمة.

مستل عن (الجزيرة نت)

كامل الجادرجي والشيوعية

د . سيف عدنان القيسي

كتب الكثير عن السياسي العراق كامل الجادرجي عن دوره السياسي و الشخصي وعن جوانب اخرى سجلت في سفر الباحثين،في حين هناك جانب مهم يستوقف الباحث للتأمل به،وهو موقف الجادرجي من الشيوعية التي برزت هي الاخرى مع ولوج جماعة الأهالي التيار الديمقراطي الذي برز في ثلاثينيات القرن العشرين وكان الجادرجي احد اقطابه.

ان فكر الجادرجي بعيد الى حد كبير عن الشيوعية كتنظيم،ولكنه تقبل الأفكار الاخرى التي يعتنقها خصومه من السياسيين وجعلته يؤمن بكل فكر يؤمن به معتنقه،وهذا يعود الى الانفتاح الى مثلته جماعة الاهالي التي ضمت تحت جناحيها شخوص ذوي خلفيات متعددة منهم رجل الدين الذي كان احد اقطابه جعفر ابو التمن،هناك من حمل الاشتراكية شعاراً له مثله عبدالفتاح ابراهيم،وهناك من تبنى الفكر الشيوعي كعبدالقادر اسماعيل البستاني،الذي حمل مبادئ حزبه ليبشر به من خلال جماعة الاهالي،في ظل هذه الأجواء تكاملت الى حد ما شخصية الجادرجي السياسية التي أسهمت في انفتاح الجادرجي وتقبله للأخر دون أن يضع خطوط حمر حولهم.

وحتى مساهمة الجادرجي وزيراً للاقتصاد والمواصلات في وزارة حكمت سليمان الائتلافية ١٩٣٦ وهو مؤمن بان الائتلافات العسكرية هي عكس المسار الذي يؤمن به الجادرجي نفسه،ومن ثم انقلاب حكمت سليمان احد اقطاب الاهالي على جماعته بعد ان ابتعد كثيراً عن مفاهيم جماعة الاهالي الاصلاحية،وبدأ يميل لكفة بكر صدقي قائد انقلاب ١٩٣٦،ليقدم الجادرجي استقالته اسوة بزملائه الثلاث بعد ان بدأت توجه لهم تهمة الشيوعية دون ان يعلن براءته منها.

وحتى في ظل اجازة حزبه الوطني الديمقراطي في عام ١٩٤٦،وجد بعض الشيوعيين ضالتهم في حزب الجادرجي بعد ان رفضت وزارة الطائفية اجازة حزب التحرر الوطني الذي مثل الشيوعيين،لأنهم وجدوا في الحزب الوطني الديمقراطي نوع من الحرية الفكرية دون غيره من الاحزاب.

وبدخول عناصر شيوعية الى الحزب الوطني الديمقراطي قد دفع الحكومة والعناصر المناوئة للشيوعية ان توجه نقدها للحزب الوطني الديمقراطي بأنه حزب شيوعي،وهذا ما دفع الجادرجي ان يدعو قيادة الحزب ان تتبنى فلسفة محددة للحزب كي تعطي جواباً شافياً لكل من يثير تساؤل حول فلسفة الحزب. بالرغم منه اعطى جواباً لهذا التساؤل فقال"يمكن ان نعطي جواباً للآخرين من خلال صحيفة الاهالي التي تمكنت ان تشق لها طريقاً فكرياً عن الطريق الفكري الشيوعي،يعتمد على الديمقراطية كأساس وعلى الاشتراكية بقدر ما تعطي من حلول اقتصادية واجتماعية لمشاكل العراق.

فهو بين"أننا لاشك تقدميون ولكن للتقدمية مفهوم واسع يجمع الشيوعيين والاشتراكيين والديمقراطيين والراديكاليين والبيساريين،ولكن نحن غير شيوعيين". وهو من جانب اخر ندد بالإعدامات التي طالت قيادة الحزب الشيوعي العراقي في ١٩٤٩ دون ان يسميهم"ان الفئة الحاكمة تطرفت في مكافحة الشيوعية بالإحكام الصارمة على الشيوعيين حتى ان حكم الاعدام قد علمت كان خلافاً لرأي الانكليز".

ومن طريف ما يذكره الجادرجي انه في ٢٢-١٢-١٩٤٩ زاره زكي قدري شقيق تحسين قدري رئيس التشريفات في البلاط الملكي،وسأله الجادرجي عن قصد الفئة الحاكمة من الميول اليسارية التي اعتنقها فهل يظنون انني شيوعي؟؟،قال زكي قدري لا يظنون ذلك في طبيعة الأمر وانما اذا تكلم احدهم في هذا الموضوع يتكلم

١٦ صفحة
عدد خاص بالقصة
٢٥ فلسا
الاهالي
صدى الاهالي
محمود احمد
اتجاهنا القصصي في عام

حالاً،وقلت لكل عضو الحرية للتوقيع على البيان دون الحزب".

ان موقف الجادرجي والنأي بنفسه وحزبه عن الشيوعية هو بسبب موقف الحكومة التي تحارب كل فئة تقدمية وتحاول ان تصبغها بالشيوعية والإعمال الاستفزازية تساعد على ذلك كثيراً،وإذا كان حزبنا قد تمكن من أن يصمد حتى الان ولم يزال في الوجود وبالرغم من تقدميته التي لا تشوبها أية شائبة وبالرغم من مناوئته للاستعمار بصورة مستمرة فهذا يعود الى استقلالية الحزب في اعماله واتجاهاته عن الشيوعيين واتجاهاتهم.فوجود حزبنا في هذه الظروف يعتبر ثروة وطنية لا تقدر بثمن.

بقي الجادرجي قريباً من القوى السياسية ومن الحزب الشيوعي العراقي،التي تكللت في انتفاضة تشرين الثاني ١٩٥٢ عندما رفع الشيوعيين شعار اسقاط الحكومة وتشكيل حكومة يكون كامل الجادرجي رئيساً لها وحمل عزيز الشيخ رسالة من سكرتير الحزب الشيوعي بهاءالدين نوري وابلغه انه موفد من قبل الحزب ليبلغه بأن الجماهير الثائرة في الشارع تطالب بإسناد رئاسة الوزراء اليه ونحن الشيوعيين ندعم هذا المطلب وندعمه،ولم يعلق الجادرجي بشيء ولكن رئيس تحرير جريدة الاهالي عبدالله عباس علق على رأي الجادرجي ينبغي ان يكون لرئيس الوزراء رأيه في اختيار وزرائه لا أن يفرضوا عليه،و أرسل اليه الحزب فيما بعد الضابط غضبان السعد مبيناً له انه همزة الوصل بين الحزب الشيوعي وبقية الاحزاب الاخرى وطالبه بضرورة توحيد المواقف تجاه النظام الملكي.

وبعد اخفاق انتفاضة تشرين الثاني تم اعتقال المشاركين في انتفاضة تشرين الثاني ومنهم كامل الجادرجي،ويذكر ان عزيز الشيخ التقى بالجادرجي في معتقل ابو غريب وسأله الجادرجي"هل افلحت السلطة في اعتقال قيادتكم،اجابه الشيخ كلا لم تفلح قيادتنا في خير،رد الجادرجي هذا مبعث سروري وسنخرج جميعاً من السجن ما دامت قيادتكم سالمة".

ولم تنقطع لقاءات الشيوعيين بالجادرجي فكان هناك لقاء يعود الى عام ١٩٥٤ بسبب سياسة وزارة نوري السعيد التي عرفت بمراسيمها"الارهابية"،عندما زاره ثابت حبيب العاني و الدكتور صفاء الحافظ.فيذكر ثابت حبيب العاني ان لقاءه بالجادرجي كان من امتع اللقاءات فقد رحب بنا الجادرجي بحرارة وبينا له ضرورة التعامل سوية فقال لهم الجادرجي ان نوري السعيد لن يعطينا الحرية بل سيذبحنا،وهذا ما دفع صفاء الحافظ ان يرد على الجادرجي بشيء من الانتقاد قائلاً له الم تقل انت في انتخابات ١٩٥٤ مخاطباً الناس انت برلمان الشعب.

وفي عام ١٩٥٥ زار وفد اخر مثل الحزب الشيوعي العراقي محاولين هذه المرة الدعوة لتوحيد الصفوف لاقامة جبهة وطنية تضم الاحزاب السياسية لمواجهة حلف بغداد،ويذكر ثابت حبيب العاني انه عندما التقى بنا قال حدثنا بشيء من الطرافة قال لنا يجب ان نصفي الخلافات بيننا قبل بدء الحوار،قلت له مع من قال مع الحزب(يقصد الحزب الشيوعي)،قلت اية حزب تعني فقال معكم وضحك معنا.

وبين الجادرجي بلقاءه مع وفد الحزب الشيوعي العراقي عن توجيد الجهود السياسية لتوحيد القوى السياسية"انه لا توجد بصفة عامة رغبة قوية بالاشتغال في القضايا العامة التي تتصف بالانتهازية،فبين لهم ان وحدة العناصر اليسارية والوطنية والمستقلة وغيرها غير مستحيلة فيما اذا تخلت بعض العناصر اليسارية عن فكرة تزعم الغير واستقرت على منهج معين غير استفزازي وسارت على خطة ثابتة لمدة طويلة والتزمت التزاما كاملاً بذلك،وان هذه النقطة كانت اثر حاسم لجلب الشيوعيين للجبهة.

ومهما يكن من امر ان الجادرجي لم يقف موقف معارض من الشيوعية كمبدأ وتنظيم وما يؤكد ذلك انه لم يعارض على انتماء ابنه نصير الجادرجي الى صفوف الحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٥٥ عندما يذكر نصير ذلك"لم اخبر الوالد بانتمائي في حينه لكنه قدر ذلك من خلال حسه السياسي".

وفي الوقت ذاته لم يعارض من زواج ابنه البكر رفعت من الناشطة الشيوعية بلقيس شرارة وهو ما تؤكده شرارة فتقول"دخلت بيت الجادرجي وانا فتاة غريبة في محيطه تؤمن بالمفاهيم اليسارية حكم على والدها بالسجن..فتاة يعود اصلها الى بلد آخر غير العراق،وطائفته دينية غير طائفته،فتاة ليست بالثرية،فكان الجادرجي لا تهمه مثل هذه الاعتبارات وكان ما يقلقه شيء واحد فقط استمراري في الانخراط السياسي الذي قد يخلق له مشاكل هو في غنى عنها،وقد تتبدد قلقه بعد ان اخبرته باعتزال السياسة".

بقي الجادرجي قريباً من الشيوعيين ولم يكون هناك تباعد في بعض المواقف العامة طيلة سنوات عمله السياسي،ووصف الحزب الشيوعي العراقي ومن خلال صحيفته طريق الشعب السرية في برقية نعى فيها الجادرجي ووصف وفاته بأنها"خسارة للحركة الوطنية في العراق".

نص نادر

من ذكريات بغداد في الأربعينيات للأستاذ علي الطنطاوي

ما الذي هاج في نفسي هذه العشية ذكر بغداد، ونشر أمام عيني ما انطوى من ذكرياتها وما مات من أيامها؟ ما الذي أرجعني إلى تلك الليالي حتى كأني – لفرط ما تشوقت إليها، وأوغلت في أذكارها – أعيش فيها؟ أي سحر فيك يا بغداد جذب قلبي إليك، فلم أُنسَك إذ أنا في بلدي الحبيب، ولم أزل أحنّ إليك وأشتاق؟

بغداد. . . يا بغداد، عليكِ مني سلام الود و الحب و الوفاء، على المعظم على الصُّلَيخ على الكرّادة على الكرخ سلام الفؤاد المشوق الولهان، على لياليا (بين الرصافة والجسر). ما كان أحلى تلك الليالي! كنت أشكو فيها ألم الغربة و أحن إلى الوطن، فصرت في وطني أحن إلى تلك الغربة ولياليها، وما ظلمني موطني وما أنكرت، وما كنت لأذمّه صادقا فكيف أذمه بما ليس فيه، ولكنها هي الدعة، مللتها واجتويتها؛ إني أشكو ألم الراحة، فأعطوني به راحة الألم، ذلك الألم العبقري الذي يفتح القلوب بآيات الشعر، فإني منذ فقدته لم أعد أحسّ بأنني ذو قلب!

على الرستمية. . . ألا تزال الرستمية جنة من جنان الأرض، حافلة بالعاشقين وبالحور العين، أم طاف بها طائف من هذه الحرب فجفت خمائلها وهجرها قاصدوها؟ على الصالحية. . . بروحي صالحية دمشق وصالحية بغداد. على (قهوة المطار)، على ظبائها على جآذرها ألف سلام.

على الجسر. . . يا جسر بغداد، كم جمعت وفرقت، ماذا رأيت وسمعت، كم وصلت بين قلوب وقطعت، أنت الصلة بين ماض لنا كان أعز من النجم و أسمى، و آت لنا سيكون أسمى من النجم وأعز. يا جسر بغداد، يا مربع الحب والأدب والمجد، يا من كنت سرة الأرض، وكنت لي سرّة القلب، عليك مني ألف سلام.

يا ربوعا تركت فيها قطعاً من حياتي، وخلقت فيها بقايا من فؤادي، ماذا صنعت بفؤادي وحياتي يا ربوع؟!

ويا دارنا في (الأعظمية) من حل فيك بعدنا يا دار؟ وهل صوّح لُبعدنا زهرك أم ضحكت من بعدنا الأزهار؟ وهل حفظت آثارنا أم لقد طمست من بعدنا الآثار؟ لقد كنت أنا مستقرّي ومثواي، وكان إليك مفرّي من دنياي؛ وكنت شاهدة أفراحي كلها و أتراحي، وكنت مستودع أسراري وأخباري، كتمتها عن الناس إلا عنك، فهل كتمت سرّي هذه الجدران؟ هل سترت ما رأت من نقائصي التي أخفيتها عن الأصدقاء والإخوان؟

ودار العلوم؟ خبروني سألتكم بحق الإخاء عن ظلال أيامي فيها. سقى الله ظلالها صَوْب القلوب! خبروني، لا رجل كريم، يحسن إلى هذا البعيد النائي، فيمر بالدار عند مسجد الإمام الأعْظم أبي حنيفة النعمان، فيصعد إلى الغرفة التي تطلّ من هنا على صحن المسجد المنوّر المبارك، ومن هناك على صحن المدرسة المزهر المشرق، فيحيي عني هذه الغرفة، فإني سكنتها عاماً، كان لي عام دنيا ودين، وفيها جددت طباعي وأفكاري وكونت نفسي. ثم ليجل عني في هذه المدرسة في حدائقها، وفي صحونها، في ممراتها ودهاليزها، ثم ليصعد سطوحها الواسعة التي تمتد حتى تتصل بقبة المسجد، و تشرف على تلك الحديقة العتيقة، وتلك المقبرة المهجورة، وعلى طريق الكاظمية، فإن لي على هذا السطح ذكريات. . . و إنني إن أنسى لا أنسى يوم العيد، وقد خلت المدرسة من ساكنيها، فلم يبق فيها غيري، فأوغلت في هذه السطوح، وصعدت حتى انتهيت إلى أصل القبة، ونظرت فإذا أنا على بحر من النخيل، تهتز قممه من تحتي كأنها الأمواج في اللجة الساكنة، وتظهر في فُرَج النخيل طرق الفلاحين، وقد خرجوا مع أطفالهم و أولادهم بثياب لها مثل لون الزهر، ثم تختفي خلال الأشجار، كشاعر سادر أو محب متغزل، ذهب يناجي ذكريات الوصال، ودجلة عند منعطف الصليخ تلوح بعظمتها وجلالها، كأنها سماء من نور ركبت في الأرض! و بغداد، بلد الأساطير والأحلام؛ يبدو طيفها على حاشية الأفق البعيدة بقبابها ومآذنها، كأنه (هو أيضا) أسطورة ساحرة، يقصها الأفق المشرق على الدنيا، وإلى اليمين قباب الذهب من الكاظمية، والقبة الخضراء التي ثوى تحتها رمس مُلك شابّ، وشباب مليك، حين ثوى غازي بن فيصل بن الحسين بن عليّ!

لقد لبثت مكاني حتى شملت الظلمة السكون، وضآت المصابيح في شبابيك المنازل فنظرت. . . إليها، أنا الغريب المنفرد، الذي يمضي عيده وحيداً على سطح المسجد، لا رفيق له إلا ذكريات سعادة ولت تؤلمه وتحزّ في قلبه ذكراها، وحبّ مات وليداً، وفكرت في أمري لو أصابني مرض فلبثت هنا شهراً، فمن ذا يصل إليّ؟ من يسأل عنّي؟ وأي فؤاد يخفق من أجلي بعد أن سكت ذلك الفؤاد الذي كان خفاقاً بحبي، فؤاد أمي، إلى الأبد؟ فنظرت إليها فغبطت أهلها إذ يغلقون أبوابهم على الشمل الجميع، والأهل الحضور، والأنس والسعادة.

ونزلت في طريق الحديقة العتيقة، وإذا أنا أتعثر بحجر فنظرت إليه على شعاع يتحدر إليه من مصباح الشارع، فإذا هو قبر متخلف من المقبرة التي كانت هناك في غابر الأزمان، فامتلأت نفسي بصورة الموت، ولم أعد أمس في هذه الغصون المخضرة إلا الربيع الماضي الذي مات، ولا أرى من الناس إلا قلوباً ميتة دفنت في صدور أصحابها؛ ولا أجد تراب الأرض إلا ناساً كانوا مثلنا وماتوا. . . فأكلت هذه الأشجار أجسامهم، وشربت دماءهم، فمنه كان زهرها الذي نشم عطره، وغصنها الذي نأكل ثمره. . . ولم أر الدنيا إلا موتا في موت.

وأممت غرفتي و أنا غارق في بحر من الأفكار السود، فسمعت العشاء يرنّ في صفا الليل قوياً عذباً يومض ضياؤه في طيات الظلام، إذ يحمل اسم الله منيراً مشرقاً، فقمت إلى الصلاة، فلما قضيت وخرج الناس، رأيت المؤذن ينادي على عادته بذلك الصوت الممدود: الفاتحة! ثم يغلق المسجد وينصرف، وأبقى وحدي، ليس في المسجد ولا في المدرسة غيري، وبينهما باب من داخل، فأعود إلى غرفتي. . .

وما يكتفل الليل، حتى سمعت الصوت في المسجد كرة أخرى، ولكنه خرج هذه المرة ضعيفاً وانيا، في نغم حزين، من لحن الصبا، فنظرت من شباكي، فإذا في أرض المسجد الذي اشتمل عليه الظلام ثلاثة مصابيح بترولية خافتة النور، تكشف عن نفر من الناس، ولا يبدو منهم إلا أرجلهم وظلال لهم ممتدة فكأنهم الجنّ، أو كأنه فلم مخيف من أفلام ألف ليلة. . . ثم سمعت تكبيرات الجنازة، فنزلت فرأيتهم يصلون على ميت في نعش.

فسألت: من هذا؟ قالوا: مؤذن المسجد!

فانصرفت لأدوّن في دفتري ما عرض لي ذلك اليوم من صور وخواطر، ثم أضعت الدفتر ونسيت الخواطر والصور. . . وأن في الدنيا موتا. . .

كذلك أمضيت يوم العيد في دار العلوم، وإني على هذا أشتاقها وأشتهي أن ترجع لي أيامي التي مرت فيها. فيا رحمة الله على أيامي في دار العلوم وعلى من بقي من أهلها السلام!

وإن أنس لا أنس (ليلة البلاط)، يا ليت ليلة البلاط تعود! لقد رجعت أنا وأنور العشية من الأعظمية إلى بغداد، فتركنا السيارات وجفونا الطريق الأعظم، وسلكنا محجّة على رصيف دجلة فسرنا فيها، وكانت تنكشف لنا تارة فنسلكها، وتعتل (طريقها. . .) تارات، فتتيه بين النخيل، وكان الظهر أبدا عن أيماننا، يبدو حينا بصفحته البيضاء المشرقة التي تشبه وعد الوصال، يشرق للمحبّ في ليل الهجران، والأمل البسام يلوح للبائس في غمرة القنوط، ثم يحجبه عنا النخيل ويستره الظلام، كما يخلف المحبوب بدلاله الوعد، وتمحو الحياة بواقعها الأحلام، وتطمس صور الأماني. وكان أنور يحدثني حديث ماضيه فيثير في نفسي عالما من الذكر الأليمة، كلما نزلت به في أعماق قلبي، ودفنته في هوة النسيان، وحسبته مات. انبعث فجأة، كأنما ولد الساعة، عالم فيه صور أبي وأمي وأمالي وحبي، واستغرقنا في خواطرنا، وغبنا عن حاضرنا، فما ننهنا إلا جندي بحربته المسددة إلى بطوننا وبندقيته الموجهة إلينا، وصاح بنا؛ أن ارفعا أيديكما؛ ففعلنا.

قال: ما أدخلكما حمى (بلاط الملك)، وفي ما أنذركما فلا تقفان؟ لقد هممت أن أرميكما بالنار! وكانت تلم هي الأوامر، ما بعد الإنذار إلا النار، فقلنا: نحن أدباء، أرأيت أديباً نفع معه إنذار؛ أو أفاد معه تخويف، ثم إننا برمنا بالحياة لا نرى فيها إلا ماضياً لا سبيل إلى إرجاعه، وأملاً لا وصول إليه، ولو أنت رميتنا لمنت علينا بميتة سهلة، نرجو من بعدها ثواب الشهداء، وإن الموت عسكري درجات، وألوان بعضها أطيب من بعض، وما نظنك سمعت بدعاء الأعرابي الذي سأل الله ميتة كميتة أبي خارجة، لأن هذه الجفوة منك دلتنا على أنك لا تقرأ كتب الأدب. أتحب أن تعرف كيف مات أبو خارجة حتى صار موته أمنيّة؟ أكل حنيذا، وشرب نبيذا، ونام في الشمس، فمات شبعان دفآن ريّان!

قال الجندي، ولم يفهم منا شيئاً:

– شنوا أنتو يابه؟

فضحك وأرخى سنان بندقيته، وقال: معلمون صحيح، أما غير مخبّلين، (وغير هنا للتأكيد ومخبلين، أي مجانين)؛ وتركنا نمضي لأن المجنون لا يسأل. . .

علي الطنطاوي – المدرس (سابقا) في ثانويات بغداد والبصرة وكركوك

مجلة (الرسالة) - العد ٦٥٦ - ٢٦ كانون الثاني ١٩٤٦

حوار مع المطربة الكبيرة عفيفة أسكندر

مؤيد الحيدري

يميز عفيفة اسكندر عن زميلاتها من المطربات العراقيات شغفها بالأدب العربي وحفظها لأشعار الغزل، وحرصها على وجود مكتبة خاصة في بيتها أنى ارتحلت أو تنقلت من دار الى أخرى.

رغم خطوط الشيخوخة والكهولة على مظهر هذه السيدة، التي كانت رمزا للجمال والحيوية والغنج في عقود سبقت، إلا ان مسحة جمال رصين ما زالت واضحة على وجهها ومحياها، على الرغم من انها تشكو ضعف البصر والسقم والالام، التي اقعدتها الفراش، ومازالت تتمتع بروح الفكاهة والدعابة، تساعدها على ذلك جليستها السيدة أم عيسى، وهي المرأة التي تولت العناية بعفيفة اسكندر، وتقيم معها منذ اكثر من ست سنوات. وتشرف على تطبيبها والعناية بها.

تحرص عفيفة اسكندر، كلما كان ذلك متاحا لها ولقدرتها على الحركة، على تحية نهر دجلة الخالد كل يوم من شرفة شقتها في الطابق الرابع من عمارة لا يعمل فيها المصعد الكهربائي. وتستعيد خلال تلك الاطلالة العديد من اغنياتها التي تغنت ببغداد ودجلة وأهلها، فتحيي صورا ومراحل وشخصيات وذكريات تعبر في ذاكرتها، كما تمر مويجات الماء منذ دهور في دجلة قرين بغداد والعراق.

عرف عن عفيفة المولودة عام ١٩٢١ خلال الخمسينات استضافتها اسبوعيا رهطا من اعلام البلد من السياسيين والشعراء والادباء، فضلا عن الموسيقيين في بيتها الانيق بمنطقة المسبح ببغداد، الذي تحول الى صالون ثقافي فني ادبي. وتذكر عفيفة اسكندر أو (عفاوي)، كما تحب أن تكنى، ان العلامة اللغوي مصطفى جواد وزميله جعفر الخليلي كانا من رواد صالونها الفني الادبي، وكانا يختاران لها القصائد لغنائها، ويصوبان قراءتها للاشعار استعدادا لحفلتها الغنائية الاسبوعية، التي كانت تبث من الاذاعة العراقية مساء كل يوم اثنين.

وتستذكر الفنانة عفيفة اسكندر وهي على فراش المرض أنها أعادت تأسيس مكتبتها كلما تعرضت لنكسة او أزمة. وتشكو من ان البعض استهدف كتبها العزيزة وخصوصا دواوين الشعراء ومنهم العباس بن الأحنف، كيف لا وقد غنت العديد من قصائده والتي جرت فيما بعد على لسان محبي غنائها

تقول عفيفة ان أمها اليونانية (ماريكا دمتري) كانت المشجع الأول لها. فقد كانت مغنية وتجيد العزف على أربع آلات موسيقية، وكانت تضغط على الطفلة "عفيفة" لتتعلم القراءة والموسيقى، وانها أهدتها عودا صغيرا لتتقن العزف عليه.

وتستذكر عفيفة اسكندر انها تزوجت في سن الثانية عشرة من عراقي أرمني يدعى "اسكندر اصطفيان" وهو عازف وفنان وكان عمره عندما تزوجا نحو الخمسين عاما، مَثّل لها الأستاذ الأول، وكان حنوا عليها ومنه أخذت لقب "اسكندر».

وتكشف اسكندر خلال الحوار معها كيف ان الكاتب السوداني الراحل الطيب صالح حين كان يعمل في (هيئة الاذاعة البريطانية) اختارها من بين المغنيات العربيات لتؤدي نماذج من الشعر العباسي والاندلسي للمستمعين العرب.

تعرف عفيفة اسكندر عدة لغات هي الانكليزية والفرنسية والالمانية والتركية. وقد زارت العديد من دول العالم ومكثت في بعضها مثل انكلترا وفرنسا وأمريكا ولبنان ومصر.

وتذكر عفيفة تاثير الفنانة سليمة مراد عليها، التي تلقبها بـ"الاستاذة" في التوجه الى الاغنية العراقية البغدادية. وفي معرض مشاكستها قالت: انها تحب ان تكنى بـ(عفاوي) وكان اول من اطلق عليها ذلك هو الفنان الممثل خليل الرفاعي، الذي استملح اسم عفاوي، ووقع موقع هوى في قلب فنانتنا الجميلة

وكان من رواد صالونها الادبي والفني: نوري السعيد رئيس الوزراء العراقي في العهد الملكي، وفائق السامرائي عضو مجلس الامة، والنائب حطاب الخضيري، واكرم أحمد وحسين مردان، وجعفر الخليلي، وابراهيم علي، والمحامي عباس البغدادي، والعلامة الدكتور مصطفى جواد، الذي كان مولعا بفنها وجمالها وكان مستشارها اللغوي وتقرأ له الشعر قبل أن تغنيه، فضلا عن الفنانين: حقي الشبلي، وعبدالله العزاوي، ومحمود شوكة، وصادق الازدي، والمصور آمري سليم، والمصور الراحل حازم باك. وأسماء كثيرة أخرى

تقول الفنانة ان لها المئات من الاغاني المنوعة، وان اكثر الملحنين الذين تعاملت معهم هم: احمد الخليل، وناظم نعيم، وخزعل مهدي، وياسين الشيخلي، وعباس جميل.

ومن الاغاني التي قدمتها (يا عاقد الحاجبين) و(ياسكري يا عسلي) و(اريد الله يبين حوبتي بيهم) و(كلب.. كلب) و(غبت عني فما الخبر) و(جاني الحلو.. لابس حلو صبحية العيد) و(نم وسادك صدري) و (يايمة انطيلي الدربين انظر حبي واشوفه) و(مسافرين) و(قسما) و(حركت الروح) وغيرها من الاغاني الكثيرة.

أجراه الأستاذ مؤيد الحيدري والمعروف في أذاعة صوت العراق الحر بأسم نبيل الحيدري..أجري اللقاء في العام ٢٠٠٤.

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

العدد (6005) السنة الثالثة والعشرون -
الاثنين (13) تشرين الأول 2025

www.almadasupplements.com

رئيس التحرير التنفيذي: علي حسين

سكرتير التحرير: رفعة عبد الرزاق

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون